

الفصل التاسع عشر
عندما نسير في الظلام

" جَعَلَ الظُّلْمَةَ سِتْرَةً. حَوْلَهُ مِظْلَتُهُ ضَبَابَ المِيَاهِ وَظَلَامَ الغَمَامِ. "

(مز ١١: ١٨)

" أَيضًا إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ المَوْتِ لَا أَخَافُ شَرًّا، لِأَنَّكَ أَنْتَ

مَعِيَ. عَصَاكَ وَعِصَاكَ هُمَا يُعَزِّيَانِي. " (مز ٢٣: ٤)

" السَّحَابُ وَالضَّبَابُ حَوْلَهُ. العَدْلُ وَالحَقُّ قَاعِدَةٌ كُرْسِيِّهِ. "

(مز ٩٧: ٢)

" وَجَعَلَ فَمِي كَسِيفٍ حَادٍّ. فِي ظِلِّ يَدِهِ خَبَّانِي وَجَعَلَنِي سَهْمًا

مَبْرِيًّا. فِي كِنَانَتِهِ أَخْفَانِي. " (إش ٤٩: ٢)

عندما نسير في الظلال المعتمة كمؤمنين، فنحن نمشي في
حضرة الله. وعلى الرغم أنه يصعب علينا فهم ذلك، إلا أنها
الحقيقة. ليس من الضروري على المؤمنين أن يكونوا غير
مرتاحين في الظلام وفي ظلال الحياة، لأن الله يوجد في الظلام.
إنه تناقض روحي، ويجب أن يفهم بروحنا. الله نور وليس فيه
ظلمة البتة، وهو يحيا في ظلمة، وفي نور لا يدنى منه. في
(مز ٩١: ١-٢) يرى وجود الله كظل حصن. إن صخرة وجود
الله تلقي دائما بالظل. ويقدم ذلك الظل مأوى لنا.

تأتي الظلمة لنا في أربعة أشكال. أولاً، هناك الظلام الذي يتسبب فيه الشرير — والذي عندما ننتهره، يختفي. إن ظلام إبليس يمكن بل ويجب أن ينتهر، ولكن الظلام الذي يأتي من قبل الله لا يمكن أن ينتهر.

ثانياً، هناك الظلام الذي يأتي نتيجة للخطية. ولا يمكن إبعاد هذا الظلام سوى عن طريق الندم والتوبة.

ثالثاً، هناك الظلام الذي يتسبب فيه الناس أو الظروف في حياتنا: التأثيرات السلبية للناس، والآراء والكلمات، أو المواقف البالغة الصعوبة والتي لا يمكن التعامل معها. ولا يختفي الظلام إلا عندما يصبح الله ووجوده، وكلماته ومشيبته حقيقة أعظم بالنسبة لنا من كلمات وآراء الآخرين.

أخيراً، هناك الظلام الذي يأتي من قبل الله — ظل يد الله. الفقرات التالية تتعامل مع هذا الظلام. إن ظلام الله هو ظل يده التي تظللنا:

" فِي ظِلِّ يَدِهِ خَبَّأَنِي وَجَعَلَنِي سَهْمًا مَبْرِيًّا. فِي كِنَانَتِهِ أَخْفَانِي." (إش ٤٩: ٢). إنه يخبئني في ظل يده. لاحظ: إنه يخبئني في ظل يده. هناك في الظل، يجعلني سهماً مبرياً.

عندما يسمح الله لنا بأن نمشي في الظلام، فذلك جزء من تأديبه لنا لكي نعلمنا أن نستمع له وحده ونطيعه وحده. هناك في

الظلام تضعف كل الأصوات الأخرى التي نتحدث إليها ويعلمنا أن نستمع له وحده. سوف يتحدث لنا الله في الظلام، وما يعلنه لنا في الظلام يجب أن ننادي به على السطوح (مت ١٠: ٢٧). إن الله لا يصرخ في الظلام. إنه يهمس. إنه يهمس برفق في آذاننا. إن الظلام هو لصالحنا في الأساس. في بعض الأحيان فإنه يجعلنا نمشي في الظلام لنحصل على رسالة لشخص آخر، ولكن ذلك هو الاستثناء. ومع أن الظلمة مقصودة لنا، فإنها في الغالب مثال وتشجيع للآخرين عندما نمشي منتصرين مع الله في الظلام.

إننا لا يجب أن نحاول أن نخبر الآخرين عما يجب أن يفعلوه في الظلام. فنحن لسنا آلهة. إننا يجب أن نترك الأمر بين يدي الله. علينا فقط أن نشجعهم لكي ينتظروا الله في الظلام. لا تحاول أن تسهل الأمر بالنسبة لهم. لا تضيء لهم قليلاً من الشموع. ففي غالب الأحيان فإننا نعيق عمل الله عندما نحاول أن نأتي بالآخرين من الظلام بسبب الشفقة التي في غير موضعها. السير في الظلام مع الله يؤدي إلى خشوع جديد، وانكسار جديد، واتكال جديد، وأخيراً أيضاً إلى حرية وضياء جديدين وعظيمين. فإذا لم يحدث ذلك. فالظلام ليس من الله، ولكنه على الأرجح يرجع للوساوس، والقلق، والخطية أو الشرير.

لا تتس أن يسوع قد اختبر ثلاث ساعات من الظلام الكلي نتيجة أن الله قد حجب وجهه عنه فوق الصليب. لقد فعل ذلك طوعاً حتى لا نكون وحدنا في الظلام أبداً. هناك على الصليب صرخ يسوع "إلهي إلهي لماذا تركتني؟". اختبر يسوع الوحدة والظلام. وبالإضافة إلى مدة الساعات الثلاث ويزيد على الصليب، كان يسوع في ظلام القبر لمدة ثلاثة أيام، ولكنه انتصر على الموت وأقيم من القبر. لقد كسرت قيامته شوكة الخطية وسلطان الشرير علينا. ونتيجة لذلك لن تفصلنا الظلمة مرة أخرى عن الله وعن العلاقة الحميمة معه.

الظلام هو طريقة الله لتتقينا. هناك في الظلام، يبدأ الله في العمل لتغيير الكثير من الأشياء بداخلنا: الطبع الحاد، والكلمات المتسعة، والأفعال وردود الأفعال الطائشة، والأفكار المتمردة، وحبنا للأشياء والعالم، والأهمية التي نعلقها على أشياء مثل المركز، والمال، والأمان، والحصول على التقدير من الآخرين. هناك ظلام في فرن الفخاري. فبعد تشكيل الصلصال ليصبح شيئاً مرغوباً لديه، يضعه الفخاري على الرف ليجف. ولا يضعه في الفرن إلا عندما يكون قد جف تماماً. جميع الأفران مظلمة وحارة، ولكن لا توجد طريقة أخرى لجعل مصنوعات الفخاري أكثر فائدة سوى عن طريق إدخالها في فرن، فرن فائق

الحرارة. ومن الناحية الروحية فإن الله يجعلنا نجتاز في نفس العملية.

يتعامل الله مع "الذات" فينا حين تستقر يده بشدة علينا — وتلقي تلك اليد بظلال سوداء. فالناس سوف تسبنا وتشهر بنا، وسوف يتهمنا أقرب الناس إلينا، ويهاجمونا ويضطهدونا. وفي بعض الأحيان نبدأ في التفكير في الأفكار المتمردة أو نختبر الهجمات القاسية على غير توقع في جوانب كنا نعتقد أننا قد أحرزنا النصر عليها منذ أمد طويل. سوف يسمح الله بهذه الأشياء، وبأشياء أكثر منها، حتى ينفينا مثل الذهب. وسوف يرينا ببطء ولكن بكل تأكيد الحالة الحقيقية لقلوبنا تجاه كل هذه الأشياء. لماذا يسمح الله بذلك؟ لكي يأتي بنا إلى منطقة الخضوع والتكريس الكلي له، ولكي يساعدنا لنساعد أنفسنا على التسليم تماماً للصليب، وأن نموت تماماً عن العالم وعن ذواتنا.

في الظلام يبدأ الله في العمل بطرق قد تبدو غريبة بالنسبة لنا. يبدأ ذلك عادة في الوقت الذي نقول فيه لأنفسنا "الآن أفهم كيف يعمل الله". نحن مرتبكون: فجأة لا نعرف شيئاً آخر، لا نعرف كيف ولم تعد لدينا كل الإجابات. في هذا الموقف يعلمنا الله أننا لسنا بحاجة إلى "النور"، ولكننا بحاجة له هو فقط. إن الله يأتي بالنور والله هو النور. النور ليس أن نعرف أو نفهم أو

تكون لدينا الإجابة، ونحسن ظروفنا أو نشعر مرة أخرى أن الله يحب. النور هو الله نفسه. إذا كان هناك ظلام من حولنا، ولكن الله معنا، يكون هناك نور.

عندما نجلس في الظلمة سوف نشعر باليأس وعدم الراحة لفترة من الزمن، ونشعر أن الله قد رفضنا. ولكن، في هذا الموقف بالضبط، أكثر من أي وقت مضى، نرى نقائصنا، وضعفائنا، وعيوبنا، ونبدأ في أن ندرك مقدار قوة مقاومة الناس والشيطان (أقوى مما تصورنا). من المرجح أننا سوف نشعر بأن الله قد تخلى عنا وأننا لا نستحق أن نعامل بمثل هذه المعاملة. ولكن اعلم أن الله هو المتحكم في كل شيء، على الرغم من حقيقة شعورك. كثيرون يتبعون يسوع لأجل "الخبز" الذي يعطيه لهم، ولكنه يريدنا أن نتبعه حياً فيه فقط. ولكن ما هو رائع حقاً، أن فترة الظلام هذه سوف تبدأ في أن تكشف لنا إن كنا نتبع يسوع فقط لأجل "الخبز" الذي يعطيه لنا.

كثيراً ما نشعر ونحن في الظلام أن الله غاضب منا. نحن نشعر أن الله "يحمل معنا" أثقالنا، ولكنه لا يحبنا حقاً. وفي بعض الأحيان، في طرفة عين، يبعد الله كل أثقالنا، ولكن ذلك لا يحدث كقاعدة. إن الله يستخدم كل هذه المشاعر والعواطف ليرينا أنفسنا على حقيقتنا وكيف نكون لولا المسيح ورحمته.

كيف يكون رد فعلنا في مثل تلك الأوقات؟ يظل البعض يرى الظلام، والتجارب، والهجمات العنيفة، والفقر، والحزن، والألم، والعوز، والنقائص في أنفسنا. ويفضل البعض الآخر النظر إلى الله. إنهم يرون يد الله تمسكهم وليس ظلال اليد. في تلك الأوقات يجب أن نفهم أننا في حقيقة الأمر نحرز تقدماً روحياً، حتى لو شعرنا كما لو أن الله لا يزال بعيداً.

ما الذي ينبغي عليّ أن أفعله عندما يغطيني الله بظل يده؟ لا توفد نيرانك (إش ٥٠: ١١). اجلس بهدوء في الظلام، واسكن أمام الرب. لا تقلق (مز ٣٧: ٧). انتظر الشيء الوحيد الذي يجب أن تفعله عندما تكون جالساً في الظلام المرسل من الله أن تنتظر وتستريح لله أجنته الخاصة. لا قدر من رثاء الذات، والصراخ، والقلق أو الحديث مع الآخرين سوف يغير من الأمر شيئاً.

لا تخف من ظلام الوحدة، والألم، والرفض، والعار، والإذلال، والحزن، والاضطهاد أو سوء الفهم. احتضنها. انظر إليها كهبة من الله تعلمنا كيف أن الحياة سريعة الزوال، وكم نحن ضعفاء، ومقدار أهمية الأبدية وأننا يجب أن نقيم كل شيء في ضوء الأبدية.

كثيرون منا يخافون الظلام، غالباً بسبب الوحدة التي نشعر بها في الظلام ولأننا لا نستطيع أن نرى. وعندما لا نستطيع أن

نرى، لا نعرف ما الذي يمكننا أن نفعله، إن ذلك يجعلنا نتجمد في مكاننا. نحن لم نعد نتحكم في شيء.

عندما نسير في الظلام، لا يجب أن نتكلم، فكلماتنا لن تأتي بالحياة والرجاء، ليس لنا ولا لأي شخص آخر. إذا تحدثنا في الظلام، لا نستطيع أن نستمع لما يقوله الله لنا. في تلك الأوقات لا يجب أن نتكلم مع الآخرين عن موقفنا.

كما أننا لا يجب أن نقرأ كتباً لا حصر لها في محاولة لفهم سبب الظلام. علينا فقط أن نستمع ونطيع. إن الضلال في حياتنا من أوضح العلامات التي تثبت أن الله معنا وأنه منكم في العمل معنا. الظل هو ظل الله. إنه يريد أن يجتذبنا نحو علاقة أوثق معه. إنه يرغب في أن نسمع صوته بوضوح أكثر، إنه يريدنا أن نرى عجزنا الكلي، وأن نرى أنه بدوننا لا نقدر أن نفعل شيئاً. إنه يريد أن يأتي بنا إلى الدرجة التي تجعلنا لا نشك فيه بل نتبعه بلا قيد أو شرط. إنه يريد أن يأتي بنا إلى طاعة أكثر حرارة له ويريدنا أن نضع ثقتنا فيه.

وفي المرحلة الأخيرة نحن بحاجة أن نعرف أننا يجب أن نرحب بالظلال ونخضع ذواتنا لله لأنه حينئذ يكون قريباً منا ويكون مشغولاً بنا كثيراً.

إن الظلام الذي يأتي من قبل الله يساعدنا لكي نسلك في

طريق روعي داخلي حيث يمكننا أن نسلك في الروح بنور الله في إنساننا الداخلي. في ذلك المكان نتعلم أن نعيش بالإيمان وليس بالعيان أو المشاعر، ونعيش في ثقة تامة في قوة الله الجديرة بالثقة والمعينة وليس في قوتنا الذاتية، وأن نعيش في اتضاع وليس في تعالٍ وغرور.

عندما تأتي الظلال، فعلى المسيحي أن يختار الصمت، وأن يُسلم انفعالاته لله وينتظر الله. هذا هو الطريق الآخر.